أوراق استراتيجية

حرب إسرائيل وحزب الله لعام 2006 : الإعلام كسلاح في الحرب اللامتوازية

مارفين كالب، معهد شورنستين، جامعة هارفرد، شتاء 2007

خلاصة:

بناءً على تحليل مضمون الصحافة العالمية ومقابلات مع دبلوماسيين وصحافيين، وُصفت هذه الأطروحة تحوّل مسار الإعلام من كونه مراقباً موضوعياً إلى مدافع شرس، ليصبح بالفعل سلاحاً في هذه الحرب الحديثة. تُظهر هذه الدراسة أيضاً أن المجتمعات المنفتحة كإسرائيل مستهدفة من خلال انفتاحها. كما تظهر أيضاً كيف يمكن لفئة منغلقة، كحزب الله، السيطرة التامة على الرسائل اليومية للصحافة والدعاية.

مقدمة:

توجهت أنظار العالم على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط مرة أخرى على مدى 34 يوماً صيف الـ 2006. هناك في لبنان البلد الحبيب، أرض شجر الأرز والنزاع الطائفي، اندلعت حرب دموية بين حزب الله وإسرائيل.

وسرعان ما أصبح جليّاً أنها لم تكن بالحرب التقليدية بين إسرائيل ودول العرب، بل كانت حربا غير متكافئة، حيث قدّمت هذه الحرب نموذجاً جديداً لصراع الشرق الأوسط بين دولة إسرائيل وفئة ميليشياوية، سرية عقائدية أصولية كحزب الله في لبنان والذي يرجع إليه أيضا بكونه "دولة داخل دولة"، إضافةً إلى حماس التي ترفض الاعتراف بقيام دولة إسرائيل ووجودها.

يصف دايفد بروكس، الكاتب الصحافي في جريدة نيويورك تايمز، الجماعات هذه بثلاث طرق فهي أما ذات " قومية جزئية " كجيش المهدي في العراق، وأما أن تعتبر نفسها "فوق القومي" مثل الروابط غير الرسمية التي تربط حزب الله وحماس بإيران وسوريا. وقد تكون "أممية" لتصبح عالمية كشبكات الاتصال ومنها الصحيفتين اللتين تصدران باللغة العربية وتطبعان في لندن وتنشران لأنحاء العالم العربي. وأيضاً كان هناك شبكتين أكثر قرباً للفهم والاستيعاب في هذه الحرب التي لا مثيل لها، هما شبكتا الجزيرة والعربية التلفزيونيتين.

تُعدّ قناة الجزيرة أشهر شبكة تلفزيونية في المنطقة، وتبثّ من الخليج الفارسي لقطر. أما قناة العربية، ثاني أشهر شبكة تلفزيونية تبثّ بالقرب من دبي والخليج الفارسي.

تعكس الجزيرة بدقة صورة الشارع العربي ومواقفه المعادية للغرب وإسرائيل وتغذيها. بينما تقدم العربية، المموَّلة من قبل رجال أعمال سعوديين ولبنانيين (بعضهم ذوو روابط متينة مع العائلة المالكة في السعودية)، جدول أعمال مماثل لكنه أكثر حذراً.

خلال التغطية، وظّفت المحطتان أكثر التقنيات تعقيداً وتطوراً، لنقل المشاهد والتقارير من كهوف وقصور وأكواخ وقرى الشرق الأوسط.

هذا العالم الذي يتخطى حدود القومية في أوساط عالم التواصل والشبكات، وتحديداً في هذا المجال، تظهر الانترنت كأعظم تقنية ثورية رائدة في العالم الحديث. فقد ساهمت خلال حرب صيف لبنان في انبعاث أول حرب مباشرة في التاريخ.

من الصحيح أن شبكتين أميركيتين كانتا تبثان تقريران حيّان من الكويت المحررة، أثناء حرب الخليج الأولى عام 1991، وخلال حرب الخليج الثانية عام 2003، وصحيح أيضاً أن العديد من الشبكات غطت مسار الغزو الأميركي من الكويت إلى بغداد خلال، إلا أن هذه الحرب أي حرب تموز كشفت الوجه الحقيقي المتجهم للمعركة من خلال الصور. قدمت هذه الصور التي بثتها المحطات التلفزيونية مشاهد تقدم أو تراجع القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان، ومشاهد تدمير البيوت والقرى أثناء جولات القصف، وأخرى لعجائز يمشون بلا أمل بين الركام، بالإضافة إلى صور أطفال يحتضنون ألعابهم الرثة، وأخرى تظهر لنا هجوم الطائرات الإسرائيلية على مطار بيروت، وحزب الله يضرب بالصواريخ شمال إسرائيل وحيفا، مرغماً 300.000 مواطن لإخلاء منازلهم والانتقال إلى الملاجئ. وأمام هذه المشاهد جلس العالم على مقعد في الصف الأول يشاهد الدم وغور حرب العالم الحديث.

وظّف الصحافيون الكاميرا والكومبيوتر لإنجاز عملهم، وبمساعدة الأقمار الصناعية المتنقلة وهواتف الفيديو بثّ المراسلون تقاريرهم من الفنادق والأسطح وقمم التلال. كما قاموا بتغطية تحركات الفصائل ومشاهد قصف القرى بالصواريخ. كاشفين بذلك معلومات حسّاسة وهامة للعدو، (وعلى الأرجح) كانت بلا قصد.

قديماً، كانت هذه المعلومات تعتبر شأناً إستخباراتياً عسكرياً، لا يمكن تحصيلها إلا بعد مجهود ومخاطرة. أما الآن فقد أصبحت هذه المعلومات في متناول الصحافة ويومياتها. هنا أصبحت الكاميرا والكومبيوتر من أسلحة للحرب.

لأي صحافي يستحق لقمة عيشه أوقدت هذه التكنولوجيا انعكاس مميزاً. فلم تكتف التكنولوجيا الحديثة والرائعة بمنح الصحافيين القدرة على تقديم حقيقة الحرب البشعة للطرفين المتحاربين وآخرين حول العالم فحسب، بل أصبحت مساعدً استخباراتياً قيّماً لإسرائيل وحزب الله. وقد عرف حزب الله بالتحديد كيف يوظفها.

إذا ما أردنا جمع الدروس من هذه الحرب سيكون أحد دروسها استطاعة المجتمعات المغلقة، التحكّم بالصورة والرسالة المراد توصيلها للعالم كافة أكثر من قدرة المجتمعات المنفتحة، خاصة إذا كانت تلك المجتمعات تخوض حرباً وجودية أو حرب لأجل البقاء. تقع المجتمعات المنفتحة ضحية انفتاحها، فخلال الحرب لم يُفضح سّر لحزب الله، وبالمقابل تسرّبت أخبار إسرائيل وانتشرت الإشاعات بسرعة بين الناس. هنا شعر القادة أنهم ملزمون بمعالجة المواضيع بطرق تحفيزية وتشجيعية عبر أخبار قد تقوم على معرفة منقوصة، وقد تزاحم الصحافيون لطبع ونشر معلومات ضعيفة وغير جوهرية.

عَكَس المجتمع المغلق انطباع النظام والانضباط، بينما عكس المجتمع المنفتح مشهد من الفوضى والضياع وقلة الثقة وصدمته العنيفة بالتشابكات بين الحقيقة والشائعة، إلا أن هذا الانطباع قد يكون خاطئاً.

لم يكن من محض المصادفة قيام حزب الله في هذه الظروف بترويج روايته بأسلوب قصصي خاص جداً وتقديمها للعالم. هذه الرواية التي تجلى فيها تعريفاً لحزب الله كونه حركة غير أنانية تمتد إليها يد الله لتباركها، متأججة عقائدية وبتصميم على مقاومة العدو الكافر سعياً وراء النصر الإلهي، مهما كلف من أرواح وأموال.

ألا أن هذه الرواية لم تذكر شيئا عن اعتماد حزب الله على دعم إيران وسوريا بالعتاد والموارد المالية.

بالنسبة لحزب الله، لم تكن حرب تموز مجرد معركة مع عدو أبدي، بل كانت معركة شرسة على نطاق واسع لحرب مستمرة متصلة بعقائد أصولية للشعوب العربية.

سؤال يُطرح: هل سيكون هذا النصر باباً للحداثة أو عهداً جديدا للخلافة؟ غالباً ما يوضع العالم العربي في إطار المنطقة المهزوزة سياسياً، هكذا وصفها الكاتب الصحفي في صحيفة الواشنطن بوست جيم هوغلان: فبين الفاصل السقيم بين الموت من الإرهاق السياسي والنظام الاجتماعي، وولادة طريقة حياة غير معروفة حتى الآن، رأى حزب الله نفسه قائداً حازماً قادراً على تشكيل ورسم مستقبل العرب.

كالقاعدة وحماس، قدّر حزب الله أهمية ثورة الاتصالات التي تحتاجها المنطقة. تعتقد هذه الجماعات المتطرفة الثلاث وبحسب قول ستيف فونداركو، الخبير العسكري الأميركي، أن الصراع التاريخي بين حداثة العرب والأصولية الإسلامية، بدأ من حرب المعلومات وهناك سيتم حله نهائياً. " إن العنصر الجديد للقوة الذي ظهر في الثلاثين إلى الأربعين سنة الأخيرة والذي تضمن الباقي هو المعلومات" أضاف فونداركو،" لقد حدثت ثورة من دون علمنا أو حتى انتباهنا. الإدراك الحسي اليوم هو حقيقة، وأعداؤنا يعرفون ذلك." يوافق الكولونيل دايفيد كيكيولن الخبير الاسترالي في مكافحة التمرّد والتابع لجهاز السلطة كلام الخبير فونداركو حيث يشرح بقوله: " من الآن، الحرب الأساسية هي حرب المعلومات. عندما كمن المتآمرون للقافلة الأميركية في العراق، لم يفعلوا ذلك لتقليل عدد الجنود أو الآليات في العراق فحسب، بل إنهم يقومون ببناء أرضية إعلامية متينة لجيش يحترق." أضاف بشرحه: " لو لم يكن بن لادن قد استخدم الإعلام العالمي وشبكة الأقمار الصناعية والانترنت لكان مجرد شخص غريب يتقوقع في كهف". من المحتمل ذلك، ولكن بن لادن يعي قوة تأثير وفعالية الإعلام الحديث ووسائل الاتصال الحديثة فكلما كان لديه رسالة للعالم كان وببساطة يقوم بتسجيلها وإرسالها إلى محطة الجزيرة. انه يعرف جيداً أنها ستبث عبر العالم. وعندما أراد بن لادن المساعدة في تشذيب المرشح لانتخابات الولايات المتحدة الأميركية الرئاسية لعام **2004**، المرشح جورج دبليو بوش، سجل بن لادن جملة من الانتقادات لبوش وسلمها للجزيرة. هذا الأسلوب يسمّى في واشنطن "التلاعب الإعلامي " وهو فعّال هناك كما هو في الشرق الأوسط.

سواء كان " وطني " " فوقي " أو "عالمي"، فقد جاء اتحاد السياسة الثورية وتكنولوجيا الاتصال الحديث ليضع تعريفاً لطبيعة الحرب غير المتكافئة كما شهدنا في حرب لبنان عام **2006**. وكنتيجة لهذه الحرب الجديدة تحوّلت مهمة الصحافي بشكل دراماتيكي من مطلب الموضوعية والعدالة إلى مطلب قبول المواجهة كأداة لهذه المهنة. فإذا كانت مبادئ الصحافي هي الصراحة والتبليغ، فانه قد أصبح اليوم من المقبول أن يكون الصحافي لاعباً نشطاً ومدافعاً شرساً في هذه الحرب. وضعت شبكات الأخبار وعلى مدار **7/24** للمناقشة ليس لها كينونة أو واقعية، بل كانت عبارة عن دفعة كبيرة من الثرثرة الاستفزازية. معظم الصحافيين في الشرق الأوسط، خلقوا وكبروا على مفهوم الخضوع للسلطة الحاكمة، وكانوا يرون أنفسهم بأن لديهم أدوار عندها، وحتى مدافعين عنها، لكن هذا لا وجود له على المعيار الأوروبي أو الأميركي، وهذا التغيير هو مهم ولكنه مشوّش ومزعج في آن.

الحرب:

بدأت الحرب في لبنان في الثاني عشر من تموز، عندما قام حزب الله بهجمة مفاجئة على الحدود الإسرائيلية، وقد أسفر هذا الهجوم عن مقتل ثمانية جنود إسرائيليين وأسر اثنين منهم. قدّر الشيخ حسن نصر الله قائد المقاومة، أن هذا الهجوم سيُسبّبُ رَداً إسرائيلياً معتدلاً، يُؤدّي إلى تبادل نهائي بين السجناء، كما كَانَ النمطَ في الماضي, لكن من الواضح انه اخطأ التقدير، الأمر الذي اعترف به فيما بعد. فقد قامت إسرائيل على الفور، وبخطة أعدت لها سابقا، بإرسال قوى مدرعة إلى جنوب لبنان واستدعى الآلاف من الفصائل وجنود الاحتياط للتوجه نحو الجهة الشمالية من البلاد.

لم يكن على رئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود أولمرت إلا أن يعلن أن إسرائيل كانت تحضر للعودة إلى جنوب لبنان لأول مرة بعد انسحابها قسرا منه عام 2000، وبناء على تعهد شفوي من الأمم المتحدة بسحب سلاح حزب الله بطريقة أو بأخرى.

آنذاك فهم الجميع على الفور بأن إسرائيل وجدت نفسها أمام جبهتين، في لبنان وفي وغزة. وفي 25 حزيران، عبرت الميليشيات الفلسطينية حدود غزة وإسرائيل, وجرى تبادل إطلاق نار بينهم وبين القوات الإسرائيلية, وخلال انسحاب القوات الإسرائيلية أسر الفلسطينيين جندي إسرائيلي. انتقم الإسرائيليون بسرعة، مما أدى إلى تجدد الاشتباكات الإسرائيلية الفلسطينية في غزة، والتي كانت إسرائيل قد أخمدتها بطريقة غير معلنة في الصيف الماضي.

بدأت التساؤلات حول العملية، فهل كان حزب الله ينسق التحضيرات بشكل غير معلن وعبر اتصالات ويخطط لإشعال حدود حماس؟

نصر الله الذي لم يكن القائد السياسي والروحي فقط، بل كان الناطق الرسمي خلال الحرب، قال للصحافيين أن حزب الله كان يخطط لهذا الهجوم منذ أشهر لكنه أضاف : "التوقيت لا شك أمن الدعم للإخوان في فلسطين".

تصاعدت وتيرة الحرب بسرعة في لبنان، فقد شنّت إسرائيل هجمات جوية مكثفة تلتها هجمات أرضية على مواقع لحزب الله في الجنوب اللبناني وضواحي بيروت الشيعية المعروفة باسم المربع الأمني. ولأن حزب الله كان قد عمل كشبه قوة عسكرية يتعايش مع عامة الناس، يحميهم، يأويهم، ويؤمن لهم حاجاتهم، وجهّت الإدانات بسرعة للإسرائيليين لقصفهم أهدافا مدنية بعشوائية وقسوة. وفي الثالث من آب أدانت شرعة حقوق الإنسان إسرائيل بتهمة القيام بجرائم حرب. أقليّة هم من سجلوا ذلك على إسرائيل قبل الحرب. وفي 27 أيار، أكد نصر الله بالفعل وعلى العلن حرب العصابات والتكتيكات، لتخبئة الجنود بين المدنيين،" مقاتلي حزب الله يعيشون في منازلهم ومدارسهم وكنائسهم وحقولهم ومزارعهم وفي مصانعهم،... لا يمكن أن تدمرهم بنفس الطريقة التي تدمر فيها جيشاً نظامياً، " قال نصر الله. كان من الواضح عند انتهاء حرب تموز أن نصر الله كان محقاً. فحزب الله بالرغم من جرحه الشديد، بقى كقوى مقاتلة متحدية ومعترضة على كل قرارات الأمم المتحدة لتجريده من السلاح.

دافعت إسرائيل عن عملياتها العسكرية قانونياً ببندين متعلقين في القانون الدولي ينصّان على أن:

استعمال المدنيين لتغطية العملية العسكرية يعد جريمة حرب، والثاني أن الجنود الذين يختبئون بين المدنيين يعتبرون هدفا عسكرياً شرعياً وقانونياً.

وبلغة باردة ناقشت وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيبي ليفني موقف حكومتها قائلة:" عندما تذهب للنوم مع صاروخ... فيمكن أن تصحو في اليوم التالي على نوع آخر من الصواريخ" الأمر الذي صرحّت به للصحيفة الأميركية نيويورك تايمز.

ومع تصاعد الأصوات وبروز مشاهد قتل المدنيين، أدار الدفاع الإسرائيلي أذنيه عن كل هذه الأصوات متجاهلاً الدبلوماسيين والمراسلين أيضاً. بينما كان حزب الله وعند الإمكان، يدل المراسلين على أماكن الضحايا المتوفين من المدنيين في صفوف اللبنانيين بهدف المساعدة الإنسانية أولاً، وفي إطار حملة دعائية مكثفة على الهمجية الإسرائيلية. في بداية الحرب أشار المراسلون مرارا أن حزب الله هو من بدأ الحرب وأن خسائره هي نتائج منطقية للحرب، ولكن بعد مرور الأسبوع الأول أسقطت هذه الإشارات أو تضاءلت نسبياً. تزايد الانطباع بان إسرائيل هي آلة حرب خاسرة تضرب كل ما يتحرك. هذه اللاتناسبية أصبحت ترنيمة الحرب. فحتى لو بدأ الإسرائيليون بالحرب فان الرد الذي قاموا به على هجوم حزب الله المفتوح من تحطيم لاقتصاد لبنان، وتدمير للبنية التحتية وإشعال الفتن السياسية وقتل المدنيين بتهور وعشوائية، كان رداً لا يتناسب وحجم الهجوم. "وعلى ماذا؟ لثمانية جنود؟" يتساءل أحد اللبنانيين. نادراً ما كان يظهر أرقام فعلية عند ذكر الوفيات الإسرائيلية جراء هجوم حزب الله الصاروخي على إسرائيل.

وفي هذا الإطار، ظهر تصميم كمثال على إحدى المحطات التلفزيونية في 30 تموز مظهراً التفاوت الواضح عندما قصفت القوات الإسرائيلية قرية قانا الشيعية الجنوبية، والذي أسفر عن قتل 54 أو 65 أو 57 مدنيا لبنانيا معظمهم من النساء والأطفال، وذلك بحسب ما أورته

التقارير الأولية. على الفور، هرع الصحافيون إلى مكان الحدث. وقد صرح أحد الناجين قائلاً: " هنا كان 63 شخص من عائلتين يختبئون في القبو لمبنى تم قصفه ثم انهار." الناطق باسم الحكومة اللبنانية قال أن 54 شخصا قد قتلوا. بينما علق مسؤول من شرعة حقوق الإنسان أنه وجد 28 جثة بين الركام و22 هربوا بطريقة أو بأخرى معتبرا أن العدد الباقي هم في عداد المفقودين. وقد استعمل معظم المراسلين الأعداد الأعلى ليصف بعضهم أيضا المشهد بالمجزرة مما جعل منها نسخة أكثر إدهاشاً.

سواء كان العدد 28 أو54 فإن الهجوم كان كارثة حقيقية. قتل العديد من الأبرياء وكل ما فعلته إسرائيل هو الاعتذار عن فقدان الأرواح مبررين ذلك بحجة استهدافهم لمنصة إطلاق صواريخ في المبنى المجاور. هذه المنصة وضعت إسرائيل في موقف مربك فأما أن لا يدمروا هذه المنصة، وأما أن يستهدفوها ويخاطروا بذلك بقتل المدنيين والتالي سيواجهون إدانة عالمية.
كما هو معروف للجميع، أو ما يفترض أن يكون معروفاً للجميع أنه في أوائل حرب 1996 أي حرب الستة عشر يوماً بين إسرائيل وحزب الله، قامت إسرائيل بضرب مركزا خاصا بالأمم المتحدة في قانا وكان ممتلئاً باللاجئين، مسفرة بذلك عن قتل 106 من المدنيين.
تمت إدانة إسرائيل عالميا لقيامها بهذه المجزرة المروّعة، وعندها أيضاً قدمت اعتذارها وأسفها. أصبح الطرفان أكثر قسوة على مآسي الحرب. أمطر حزب الله ما يقارب 3970 صاروخ كاتيوشا وصواريخ بعيدة المدى على أهداف عسكرية ومدنية شمال إسرائيل، خلال34 يوما من الصراع عام 2006. كما ضرب حزب الله بكثافة أيضا مدينة حيفا المأهولة سكنياً، مبعثراً بذلك الإسرائيليين بين ملاجئ تحميهم من الصواريخ. وهناك عاشوا الجزء الأكبر من الشهر. خلال الحرب، هدّد حزب الله أيضا بضرب تل أبيب لكنه لم يفعل ذلك أبدً، ويرجع ذلك على الأرجح لتدمير إسرائيل الصواريخ البعيدة المدى في الأسبوع الأول من الحرب.

وعلى طريق حل النزاع، ومع توسع الخراب وتزايد عدد الضحايا ارتفت الأصوات مطالبة بوقف إطلاق النار. لكن من الواضح أن الولايات المتحدة كانت تطمح يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد أسبوع أن تنجح إسرائيل أخيراً بهزم حزب الله، لذلك كانت تتعمد تأجيل وقف إطلاق النار.
وبالرغم من ذلك فشلت إسرائيل وصمد حزب الله. فكما قيل في حرب فيتنام أن الفدائيون قد ربحوا، وأن لم تكن الولايات المتحدة الأميركية قد ربحت، فإنها بالتالي قد خسرت. أثناء الحرب على لبنان، لم يخسر أو يربح أي من الطرفين. وبقيادة الولايات المتحدة الأميركية تم التوافق على شروط وقف إطلاق النار تحت شرط واحد وهو سحب سلاح حزب الله ووقف تمويل إيران وسوريا له بالأسلحة العسكرية. حتى الآن لم يتم نزع سلاح حزب الله. وقد أعلن الحزب انتصاره مطلقاً عليه النصر الإلهي. وبعد أشهر، قدم حزب الله عرضاً دراماتيكياً للسلطة السياسية المطلقة في لبنان محاولا جرّ معارضيه السياسيين من مراكزهم. كما تفاخر نصر الله بحيازة حزب الله على 20.000 صاروخ وقذيفة في ترسانته المخبأة.
وكما بعد كل حرب، وعلى وقع قرع الطبول عزف لحن الموت، وأحصيت الخسائر ودفنت الجثث. في هذه الحرب كانت الخسائر اللبنانية أعلى بكثير من تلك الإسرائيلية. ولكن عانى الطرفان من شدة وظلم هذه الحرب الطويلة. وفي نهاية الحرب، أي في 14 أب، أعلنت وزيرة الخارجية أن 162 إسرائيلي قد قتلوا أثناء الحرب بينهم 43 مدنيا و119 جنديا. قدرت هيئة الإغاثة العليا اللبنانية أن 845 لبنانيا قد قتلوا بينهم 743 مدنيا و43 جنديا من الجيش اللبناني و68 مقاتلا لحزب الله. لم يقدم حزب الله أعداداً عن خسائره ولكن قدّر الإسرائيليون أنهم قد قتلوا بين 500 و600 مقاتل فدائي.

التغطية

أولاً: الرد اللامتناسب

لم تكن العبرة خلال التغطية في الحرب اللبنانية أقوى من الانتقادات المتكررة التي وجهها المراسلون العرب والغربيون لإسرائيل على ردة فعلها غير المتناسبة مع هجوم حزب الله. فبالرغم من مقتل ثمانية جنود وأسر اثنين، فقد قيل أن هذا الهجوم هو كغيره من العمليات التي حدثت سابقاً خلال العوام المنصرمة حيث كان ينتظر الطرفان تدخل الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة لفض النزاع وإقامة مفاوضات لوقف إطلاق النار أولا وتبادل الأسرى ثانياً. إلا أن ردة الفعل الإسرائيلية كانت خارجة عن السيطرة وبالتالي غير متناسبة.

سواء كان الإعلام أول من ركز على هذه العبرة ومن ثم قام حزب الله بتوظيفها لحملته الدعائية، أم سواء كان حزب الله يتعمد جرّ الصحافيين لهذه النتيجة يوماً بعد يوم من خلال إعطاء عدد الخسائر والتي كان على الصحافيين ذكرها يومياً، هناك يظهر شك بأن الإعلام فسر اللاتناسبية من اليوم الأول للصراع كمعيار لا نظير له في الأهمية.

كانت الفحوى واضحة في معظم المراسلات. دعونا ندخل للحظات لما يسميه الأكاديميون " تحليل المضمون". انظروا إلى العناوين والصور والتقارير التلفزيونية وقيسوا الوقت المكرس لهم على التلفزيون والمساحة المخصصة لهم في الصحف وتحققوا من جنسية الضحايا (والذين يطلق عليهم مصطلح الشهداء من قبل المراسلين العرب) والتي تستطيع أن تحدد بسرعة مسار الإعلام في تغطية هذه الحرب. "هل هي عادلة ومتوازنة، أم هي حرب عشوائية في اتجاه أو آخر ؟" سؤال طرحه رئيس قناة فوكس، روجر ايلس.

جريدة الشرق الأوسط هي واحدة من صحيفتين عربيتين تصدران في بريطانيا وتوزع على بلدان الشرق الأوسط، تصدرت الصور المتعلقة بالحرب الصفحات الأولى لهذه الصحيفة من 13 حزيران وحتى 16 أب. كل الصور عرضت مشاهد القتل والتدمير في لبنان، نتيجة العدوان الإسرائيلي عليه، باستثناء صورتين. يخلص القارئ العربي لهذه الصحيفة إلى نتيجة مفادها أن إسرائيل مذنبة في تحويل لبنان إلى ساحة قتل. ولمرة وحيدة أظهرت الشرق الأوسط في 31 حزيران صورة للدمار الذي سببته صواريخ حزب الله في إسرائيل. هذا اللا توازن في نشر 22 صورة مقابل واحدة جعل من الصعب تصنيفها بالنسبة للمعيار الغربي كصحافة موضوعية، ولكن كان من الممكن تأطيرها ضمن صحافة الشرق الأوسط حيث يشعر الكثير من المراسلين العرب بالإجحاف القومي أو الديني أو الحضاري لإسرائيل. لذلك، ومن خلال عرض 22 صورة على الصفحات الأولى للخراب الذي يسببه القصف الإسرائيلي على لبنان وتجاهل هجوم حزب الله على إسرائيل بشكل أساسي، كانت الشرق الأوسط تقوم بما هو طبيعي، كانت تجحف قراءها الذين تعاطفوا مع أشقائهم العرب الذين يتعرضون للنيران الإسرائيلية. بكلمة أخرى كانت الشرق الأوسط تهدف للتجارة وبيع صحفها فقط.

وإذا ما كنتم قد شاهدتم الجزيرة والعربية أيضا وقمت بالتقليب للأمام والخلف وتساءلتم عن من كان المعتدي الحقيقي في هذه الحرب مع هجوم حزب الله على الحدود الفاصلة متسبباً بقتل ثمانية وأسر اثنين من الجنود الصهاينة سيكون جوابك إسرائيل، ولن يفاجئ هذا الجواب أحداً.

فحوى الإعلام، هي مؤسسة البحوث الإعلامية الأكثر احتراماً في ألمانيا، وجدت هذه المؤسسة أن قناة العربية عرضت 214 قصة عن موضوع الحرب، من بينها 94 في المئة من هذه القصص اعتبرت أن إسرائيل هي المعتدي. أما الجزيرة فقد عرضت 83 قصة عن الموضوع، من بينها 78 في المئة خلصت إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها العربية. كل هذه القصص التي تظهر الاعتداءات الإسرائيلية على الأهداف اللبنانية تم تقديمها كأمثلة على اللاتناسبية. ولكن لماذا لم يتم البحث وتعليل أسباب تضاعف قصص العربية؟

وفي مسح أجراه مركز هارفرد شورينستاين على الصحافة السياسة تفحص فيه عناوين وصور موقع الجزيرة الالكتروني ظهر فيه أن 50% من الصور وضعت إسرائيل في إطار المعتدي، وأن 6 % فقط أظهرت حزب الله كمعتدي. وقد حاولوا ومن خلال العناوين إيجاد التوازن مع الصور لكنهم لم ينجحوا حيث تم عنونة إسرائيل كمعتد في 39% من العناوين المتواجدة و 13% تناولت حزب الله كمعتد. معظم وكالات الأخبار العربية تمتلك مواقعها الالكترونية الخاصة والتي تؤمن عوالم منفصلة من الأخبار والمعلومات والآراء، لكنها تعكس أولاً وأخراً آراء محرريها. هذه المواقع وإن لم تكن مربحة مادياً فإنها تنتقل من مرحلة خسارة موقع القيادة إلى مركز الربح المادي.

وبالمقارنة، إذا كنت قد تابعت محطة ال بي بي سي في تغطيتها للحرب، لكنت وجدت مساراً أكثر اعتدالاً. حيث نشرت ال بي بي سي مئة وسبعة عشر قصة، 38% أشارت إلى إسرائيل كمعتدي و 4 % اعتبرت حزب الله هو المعتدي. ثم قالت أن الطرفين ملامين ومسؤلين بالتساوي عن هذه الحرب. قلبت ال بي بي سي في تغطيتها الرأي ضد إسرائيل وربما يعود ذلك إلى استجابتها للرأي العام ومجاراتها له. ونسبة إلى استطلاع للرأي ليو غوف ومراقبين بريطانيين وناخبين أن 63 % يعتقدون أن ردة الفعل الإسرائيلية على هجوم حزب الله كان غير متوافق. بينما 17% فقط ظنوا أنه كان متناسباً.

على أي حال، لو كنتم تشاهدون التلفزيون الأميركي لكنتم استنتجتم بسرعة أن قناة فوكس الاخبارية فضلّت إسرائيل، في حين حاولت ال سي.أن.أن الموازنة، بينما انتقدت المحطات الاخبارية المسائية الثلاث ال آي.بي.سي، و السي.بي أس و ال أن. بي.سي، إسرائيل بشكل أقوى مقارنة بنقدها لحزب الله. في الاسبوعين الأولين من الحرب، نشروا 258 قصة بمعدل 18 قصة في الليلة، مقدمّين بذلك أعلى نسبة تغطية عالمية منذ المحاولات الفاشلة للرئيس السوفياتي ميخائل غورباتشيف صيف 1991. أكثر من نصف القصص ركزت على الهجمات الإسرائيلية على لبنان أي حوالي 133 قصة، بينما ركزت 89 قصة لاعتداء حزب الله على إسرائيل. سجلت العديد من الأحكام السلبية والشاجبة التي ترفض العدوان الإسرائيلي على لبنان من خلال معظم تغطيات الشبكة باستثناء فوكس، حيث حاولت تغطية حركة حزب الله لكنها لم تنجح لأنه لم تكن تحركاتهم ظاهرة.

وفي مقابلة لرجل في الشارع، عرضت نشرة ال أن. بي. سي الاخبارية المسائية في 2006/7/21 قوله: " الإسرائيليون يدمرون كل شيء ونحن لا نفهم لماذا؟ هل لأن حزب الله خطف جنديين؟ هذا ليس بسبب؟". قال المراسل دايفيد رايت على قناة ال آي بي سي الإخبارية ليلة 2006/7/17 أن : هذا النوع من التدمير هو ما يؤدي باللبنانيين العاديين إلى النظر لإسرائيل كغازٍ. سواء كانوا يوافقون حزب الله أم لا، فهم يسمعون صوت القنابل وهي تلقى".

في الصفحات الأولى لجريدة النيويورك تايمز وال واشنطن بوست تم تصوير إسرائيل كمعتد حوالي المرتين في العناوين الرئيسية وثلاث مرات في الصور بعد مسح أجراه مركز شورنستاين.

بالرغم من أنّ لا التايمز أو الواشنطن بوست ركّزوا على فكرة اللاتناسبية في صفحاتها الأولى، إلا أن هذه التلميحات كانت واضحة في رواياتهم وتحاليلهم وعواميدهم التحريرية. إلا أن هناك عبرة أخرى في تغطية حرب لبنان متعلقة بمشاعر العرب التقليدية كونهم الضحية دوماً. أظهرت العربية والجزيرة ذلك بوضوح وصراحة أثناء الحرب. فقد شدّدت العربية على سبيل المثال على إبراز الضحية اللبنانية بنسبة 95% في قصصها بحسب استطلاع مركز فحوى الإعلام وبعبارة أخرى لم يستطع المراقبون الهرب من الإشارة إلى أن إسرائيل كمعتد وإلى اللبنانيين كضحايا. وبالنسبة للجزيرة نرى أن بثها توزع على الشكل التالي: 70% من بثها كان عن لبنان وهي نسبة عالية لكنها ما زالت أقل من تلك التي على العربية. مما يعني أن الجزيرة كانت تروّج هذه الفكرة بنفس وتيرة المحطات التلفزيونية الأولى في ألمانيا. معظم شبكات التلفزة حول العالم بثت قصصاً أكثر عن لبنان من تلك التي عن إسرائيل. مما أدى إلى الوصول إلى نتيجة واضحة تقول أن العرب ضحايا الصراع العربي الإسرائيلي.

أما الوجه الآخر للعملة، فيرجع سبب شعور العرب بالاضطهاد بشكل كبير هو شعورهم بالإذلال نتيجة خسارتهم الدائمة أمام إسـرائيل فكيف يمكن لدولة كإسرائيل أن تهزم العرب باستمرار؟

هذا السؤال طرحه محرر الجزيرة أحمد الشيخ في صحيفة ألمانيا الاسبوعية دي ويلتوش قال " إنها تقمع الناس في الشرق الأوسط فكيف لدولة صغيرة كإسرائيل بعدد سكان لا يتجاوز سبعة مليون مواطن أن تهزم أمة عربية بحوالي 350مليون نسمة، هذا أمر يغضب الأنا الجماعية. "كما يرى الشيخ أن الشعب العربي هو شعب واحد ذو اهتمامات وروابط مشتركة يتفاهم ضمن مضمون قومية القرن العشرين".

حتى حرب لبنان، كانت إسرائيل قد هزمت واحداً أو اثنين أو ثلاث دول عربية في آن واحد. أما الآن فهي تواجه طائفة قبليّة ذات عقائد ثابتة وراسخة ودولة ضمن دولة كحزب الله، الحرب غير المتكافئة قد أضافت مشهداً محرجاً لأي حسابات للخاسر أو الرابح. في قـوانين الحرب الصارمة إسرائيل لم تخسر أمام حزب الله لكنها من الواضح أنها لم تربح.

في حرب المعلومات، الأخبار والدعاية الإعلامية هي محور ساحات الحرب الإستراتيجية لحزب الله فقد خسرت إسرائيل هذه الحرب. فكيف ستسيطر إسرائيل على الرسائل الإعلامية في الحرب القادمة؟ هذا السؤال هو موضوع ساخن للنقاش في مجلس الحرب الإسرائيلي. وسؤال آخر يُطرح: هل ستستطيع الديمقراطية أن تبذل هذا الجهد لتحقيق ذلك؟

ثانياً: استخبارات الانترنت:

اليونيفيل هي القوات الفاصلة للأمم المتحدة في لبنان. وهي تتألف من حوالي 2000 فصيلة متمركزة على طـول الحـدود اللبنانيـة الإسرائيلية منذ عام 1978 حتى نهاية حرب 2006. إنه انتداب يتطلب كامل النزاهة والموضوعية.

نشرت اليونيفيل أثناء الحرب معلومات في موقعها الالكتروني الرسمي عن تحركات القوات الإسرائيلية. هذه المعلومات تعتبرهـا الـدوائر العسكرية كاستخبارات موجبة لإقامة دعوى قضائية. لنأخذ تقريها في 25 من حزيران عام 2006 حيث أوردت:

" البارحة، وفي نهاية الليلة نقلت قوات الدفاع الإسرائيلية تعزيزات هامة، تتضمن مجموعة من الدبابات وناقلات الجند المدرعة والجرافـات المصفحة (البلدوزرات) والمشاة لمنطقة مارون الراس داخل الأراضي اللبنانية. وتقدمت قوات الدفاع الإسرائيلية من شمال تلك المنطقة باتجاه بنت جبيل وجنوباً باتجاه يارون".

أو من خلال تقريرها في 24 حزيران حيث كشفت عن أن القوات الإسرائيلية المتمركزة بين مارون الرس وبنت جبيل قد " دُعموا بشكل ملحوظ أثناء الليل وصباح هذا اليوم بعدد كبير من الدبابات وناقلات الجند المدرّعة".

هذه التقارير كغيرها أثناء الحرب، اصطدمت بحرب شديدة في المنطقة. تعرضت الوحدات الإسرائيلية لهجوم قاس من قبل حزب الله. كان من المستحيل على الغرباء أن يحددوا إذا ما كان حزب الله قد استعمل المعلومات التي أعطتها اليونيفيل والتي توفرت لكل من يملك حاسوباً متنقلا أنه اعتمد على المؤيدين المحليين المخلصين الذين زودوه بالمعلومات أولاً بأول. بالرغم من ذلك، فان تقارير اليونيفيل خلال حرب تموز لم تقدم أي معلومة قيمة تتعلق بتحركات حزب الله وقد يعود السبب إلى عدم قدرة اليونيفيل على رؤية جنود حـزب الله أو اختيـارهم التغاضي عن رؤية هذه التحركات.

كان جزءاً من مهمة اليونيفل الإبلاغ عن خروقات وقف إطلاق النار، بما فيها قوافل المرور للأمم المتحدة. لكن من المفترض أن يتم إرسال هذه المعلومات عبر أقنية سرية لا عبر الانترنت إذ أن المعلومات في وقت الحرب قد تكون أكثر قيمة بقدر ما قد تكون فتاكة. وقد فضحت الاستخبارات العسكرية.

على كلا الحالتين وفي هذه الحرب غير المتكافئة، كان حزب الله يستطيع الاستفادة من تقارير اليونيفيل الشبكية اليومية. وإن لم يفعلوا فسيكون ذلك نوعاً من الغباء. في المقابل وجدت إسرائيل نفسها غير قادرة من الاستفادة من هذه التقارير كونها لا تتضمن معلومات ذات قيمة إستخباراتية عن تحركات حزب الله ذات الطابع الفدائي في هذه الحرب.

ثالثاً: الدخول/ الولوج:

الصحفيين يشكون دائماً من عملية الدخول لأرض المعارك، وخاصة في هذه العملية حيث اشتكوا على عدم السماح لهم بالدخول الكافي لأرض المعركة. وهذه الشكاوى كانت موجهة ضد اسرائيل بالدرجة الأولى، حيث سعت لكي تسد حاجات المئات من المراسلين الذين كانوا يحاولون تغطية المعركة. ونادراً ما كانت الشكوى موجهة ضد حزب الله، الذي نظّم بحزم عملية الدخول عبر برنامج محدد. ولمرة واحدة نظم حزب الله جولة ميدانية في الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث الحضور الشيعي من المؤيدين الذين تضررت بيوتهم جراء الغارات الجوية الاسرائيلية، وكان الغرض هو كسب الإعلام كسلاح في الحرب الإعلامية لتحصيل الاستحسان الشعبي، والإعلام هنا لم يأبه بالهدف ولكنه دفع ثمن تغطيته بذلك، والمراسلون الأجانب حذروا قبل البدء بالجولة بأنهم لا يستطيعوا التجول بإرادتهم لكن ضمن الجولة فقط، وأن لا يتحدثوا مع أحد من الساكنين، ولكنهم يستطيعون أخذ الصور التي يريدون من الأماكن التي سيأخذهم عليها حزب الله. وقيل لهم أن التعليمات ستطبق بشكل صارم، وإذا لا فالكاميرات سوف تصادر والأفلام سوف تتلف، أما المراسلون المخالفون سوف يمنعون من الدخول إلى الأماكن التي يسيطر عليها حزب الله ويمنعوا من التكلم إلى "موظفي" الحزب.

إلى حد معرفتنا، فإن كل المراسلين الذين اشتركوا في هذه الجولة تذكروا العهد السوفياتي، لكن مراسل الـ (cnn) أندرسون كوبر وحده، وصف القواعد الميدانية الصارمة حيث كانت محاولة من الحزب لخلق قصة والسيطرة عليها، وفي النهاية نجح حزب الله.

وكل الصحفيين تبعوا نص حزب الله "بأن اسرائيل جشعة وأداة إجرام بلا رحمة، تفجر المدنيين البريئين، الخسائر كانت كبيرة والدمار كان في كل مكان". وكما كان يقول الناطق باسم حزب الله، كان المراسلين التابعين لمختلف الوكالات الأجنبية يكتبون. وبلحظة واحدة وكتلميح لنا، أشار أحد أفراد الحزب لسيارات الإسعاف بإدارة المحرك، ووضع الصفارات بصوت مرتفع والنزول إلى الشارع، وهذا المشهد كان بمثابة أوركسترا، وقد صمم ليؤمن "صورة" أو لُيأخذ مشاهد منه، والمراسلين نزلوا ليأخذوا جولة أخرى، فكانت لهم نظرة "داخلية" نادرة لحزب الله، ولكن لحزب الله كانت مسرحية أخرى أضافها لمعرضه.

ولكن، وفي أحد الأيام، ذهب المراسلين والمصورين من بيروت إلى الجنوب لوحدهم وبدون المرافق من الحزب، فقد استأجروا سيارات تجول بهم بالأحياء المحاذية. الشوارع الأساسية كان مغلقة تماماً بسبب الركام، والجسور كانت على الأرض وكان ما تحتها أشبه ببحيرة. ومعظم الأحياء الصغيرة والتي كانت أشبه بمدن صغيرة، كانت مدمرة بالقصف الاسرائيلي ولكنها كانت لا تزال معاقل لحزب الله. المصور كان لا يحتاج لإذن من حزب الله ليصور الركام والحطام، ولكنهم كانوا على علم بأنهم إذا وجدوا رجل أو سلاح لا يجب أن يصوروه، وإلا ستصادر آلاتهم أو سيواجهون صعوبة في العودة لبيروت، وهذا ما كان يؤخذ بشكل جاد من قبل المراسلين. لكن وحتى بدون هكذا أنواع من الصور ما زال للصحفي أو المصور أن يعدّ قصة جميلة من خلال رجل عجوز أو امرآة تنقذ أطفالها من القصف والدمار متزامنة مع دخول الدبابات الاسرائيلية وتسلّل مجموعاتها نحو أطراف القرية.

ومع كل هذا الصراع، كانت الصورة النادرة على كل الصور هي صورة غوريللا حزب الله، لأن المشهد كان كأن جبهة حزب الله يقودها الأشباح.

وحده "كيفين سايتس" والذي يسمي نفسه "سوجو" أو "سولو" أي الصحفي الوحيد، إدعى أن يمكن الوصول لمقاتلي حـــزب الله بـــدون صعوبات، وبعدها قدم دليلاً على أنه التقى بمقاتل واحد، وتقريره ظهر على شبكات "ياهو" الرائدة، وقالت عنه شبكات أخرى "كـــيفين سايتس في منطقة الخطر"، حيث شغل أكثر من 100 موقع خطر خلال الحرب، أما في 28 تموز، قال سايتس من قرية صغيرة شمال مدينـــة صور حيث التقى "حسين" في منزله، وهذه المقابلة نظمت عبر "مصدر" والذي عمل كمفسّر مترجم، حسين الذي كان مهـــذباً وعازمـــاً، أخرج بندقية حربية أميركية من نوع M – 16 من خزانته، وقاذف صواريخ صغير مع جعبة كتف خضراء اللون ممتلئة بالـــذخيرة. قـــال حسين أنه ينتظر "هاتف حنوبي"، لكنه في الوقت الحالي "يتحرّى عن العملاء الاسرائيليين".

هكذا صحفيين مثل "سوجو" يضعون أولوية فائقة لسلامة احتراف المراسل، حيث يسافر ويتنقل لوحده مع تقاريره، والبعض من التقنيات الرقمية.

عندما كان " أنطوني شادد" الصحفي الذي يتكلم اللغة العربية من جريدة "الواشنطن بوست"، يقود بجانب نهر الليطاني، شاهد المشهد غير الاعتيادي لرجل يجر ويسحب شاحنتين محملتين بالمواد، فصرخ فيه "لا تأخذ صور"، ورجل آخر قال له " نحن لا نخاف من أحد غـــير الله" وأشار إلى السماء، "هناك الله، والله أعلى من الطائرات" قاصداً الطائرات الحربية الإسرائيلية. مسؤول في الصليب الأحمر كان قد ذكّر شادد بأن أخذ الصور ممنوع، لكن شادد كان يريد أن يتأكد ما إذا كان هؤلاء هم من رجال حزب الله أم لا، فأشار المسؤول لرجال الحـــزب، وبعدها وبشكل واضح كان أي من الرجلين لا يريد التكلم مع شادد، فالأول غطى رأسه بكنزته السوداء والأخر وضع يده اليسرى على وجهه.

وعلى العكس، وعلى الجهة الإسرائيلية للحرب حاول المسؤولون وبشتّى الطرق وبطاقات هائلة السيطرة والتحكم بالتغطية الإعلامية لكنهم فشلوا. ساعة بعد ساعة، ويوم بعد يوم، المراسلون الصحفيون والمذيعون كانوا يجدون الطرق العديدة والمنوّعة للهرب من إعاقة الإسرائيليين ورقابتهم في التغطية التي كانت وظيفتهم. إن الصحفي جوناثن فاينر الذي يعمل في جريدة الواشنطن بوست لم يكن يعاني مـــشاكل مـــن الوصول للعديد من الجنود الإسرائيليين والضباط والوزراء لكن في القواعد العسكرية والفنادق وعند بطاريات المدافع، وعند التمثيل بأنهم قد دخلوا الأراضي اللبنانية منذ أخر معركة برية حصلت الأسبوع الماضي. معظم الجنود عبّروا عن دهشتهم عن طول المدة والمسافة لهزيمة حزب الله، وعبّر أحدهم قائلاً: "في معظم الأحيان كنا نراهم حيث هم يريدوننا أن نراهم ويأخذوا انتباهنا، وبسرعة يـــأتون مـــن خلفنـــا ويضربوننا"، فاينر قابل أيضاً جنرال إسرائيلي حيث أعطاه تقييماً عظيماً لصورايخ حزب الله المضادة للدبابات، لذا فالخبرة لدى فـــاينر في تغطية الحرب من الجانب الإسرائيلي كانت عادية.

رسا المراسلين الذين يمثلون المحطات ويديرون عملياتها من قناة الجزيرة حتى محطة فوكس كاميراتهم على طول الحدود اللبنانية الإســـرائيلية "مثل العصافير على حبال الغسيل" واحد بجانب الأخر حتى يتمكنوا من بث بعض المعارك بشكل حي ومباشر، وحـــتى في أوقـــات الليـــل باستخدامهم كاميرات تصوير ليلية خاصة، حيث كان بمقدورهم متابعة التقدّم الإسرائيلي نحو الأراضي اللبنانية. ومع كل تقدم هائل لأمواج الدبابات المدرعة نحو الجنوب اللبناني، كان العالم يشاهد ومن المفترض أيضاً حزب الله على شاشاتهم ما كان يحدث. كان هذا كله حـــرب تبث مباشرةً لكي يراها على شخص على شاشات التلفاز والكمبيوتر.

ورغم ذلك، كان التذمر حول دخول الصحفيين من كل الجنسيات إلى إسرائيل ما يزال قائماً حتى بعد انتهاء الحرب بأسابيع وبأشـــهر. في 28 أب 2006 قام النادي الشرق أوسطي للصحافة بمبادرة صحفية للوكالات في القدس عبر جمع ثمانية صحفيين من الذين غطّوا الحرب في نطاق نقاش بينهم، وكانوا يمثلون : أخبار الـــ أي بي سي، نيو يورك تايمز، لندن تايمز، الجزيرة، اسوشـــييتد بـــرس، كـــول يزرائيـــل، هآرتز(إسرائيل)، الأيام (فلسطين)، وفي هذا النقاش قال سيمون ماغرغر وود رئيس مكتب الـــ أي بي سي في القدس: "المهمـــة الأســـاس

كانت الوصول لساحة المعركة، ولم نصل للمكان الذي أردناه"، وقال ستيفن ارلانغر من النيو يورك تايمز نفس الكلام راسماً الفرق بين وصول الصحفيين الإسرائيليين وبين وصول الصحفيين الأجانب "وكان السؤال هل بإمكان الصحافة الأجنبية أن تصل أو يسمح لها بالدخول".

وتبقى عمق وعرض التغطية التي قدمت، بمثابة كذب وإحباط لجميع الملاحظات والمشاكل المقدمة للدخول. ستيفن فاريل رئيس مكتب لندن تايمز شارك زملاؤه بالقول حول ما يخص الدخول إنما هي بمثابة إظهار للمبادرة الفردية التي تقهر الصعوبات: "ما فعلته هو أنني ذهبت إلى هناك، ووجدت فندقاً حيث يمكنني أن أرى الحدود، فكنت أقف ماسكاً المنظار لحوالي ثلاثة أسابيع، وكان شيئاً مذهلاً لكنه كان غير مريحاً. من الواضح أن الوصول للمكان كان خطيراً وكان بإمكانك النزول إلى الشارع والاقتراب من ميدان المعركة مئات الأمتار (يجب أن لا أقول هذا) والوصول للمكان المناسب ومشاهدة الفرق التي لا يمكن أن تُراقَب. وليد العمري رئيس مكتب قناة الجزيرة في القدس فسّر كيفية ملاحقة الشرطة الإسرائيلية للفريق الإعلامي التابع للقناة، وبأنهم اتهموهم " بإعطاء معلومات للعدو"، وكان للجزيرة ثلاث فرق عمل للتغطية اليومية في الجانب الإسرائيلي للحرب طاقم في حيفا، وطاقم على الحدود، وآخر في القدس، وكانوا يبثون يومياً قصتين تلفزيونيتين طويلتين فالأولى تتمحور حول الناس والمدنيين والقصة الثانية حول العمليات العسكرية والسياسية. هناك مثال في 8 أب 2006 وهو مثال واضح جداً حول رفض الدخول والولوج للصحفيين من قبل الإسرائيليين، وهذا المثل يبين الياس كرّام مراسل الجزيرة وهو يقوم بتقرير مدته عشر دقائق في الظلام في نفس الوقت التي كانت تمر فيه مجموعات إسرائيلية نحو الجنوب اللبناني تحت القصف العنيف. فكانت "معظم الصواريخ تتبع مسار القوس عبر السماء حتى ترتطم بمراكز حزب الله في لبنان مرافقة بارتجاج يصم الأذان".

قد سمحت إسرائيل وأمّنت دخول الصحفيين في الحرب، ولكن جزئياً لأنهم كانوا غير قادرين على مجاراة الصحفيين في مكرهم وتقنياتهم التي يستطيعون بها تغطية الحرب، لكن حزب الله أمّن الدخول المحدود لميدان المعركة، ودخول كامل في الجولات الموسمية الموجّهة، وكانوا يشجعون على استضافة الصحفيين في تلفزيونهم الخاص " تلفزيون المنار" لأخذ التقارير والمعلومات حول الحرب، فكانت المنار لحزب الله كما كان برافدا للاتحاد السوفياتي.

3. البث المباشر – الإرسال عبر تعدد الرسائل

باستعمال إسلوب المتابعة والخيار البديل، عرّف إميل نخلة مدير الأخبار والعلاقات في قناة العربية التغطية في لبنان بطريقة تجعل كل منتجي الأخبار مقدرّين للعمل "نحن قدمنا، بث عبر متعدد الوسائط/الرسائل في أماكن يتعذر الوصول إليها بالسيارة، وفي وسط المعارك، فهناك رجلاً ووحيداً حمل حاسوبه المحمول وكاميرا صغيرة واستطاع بأن يصوّر، يحرّر، يبّث ويجري مقابلات".

إن التغطيّة الحيّة في الحرب هي الواقع وهي الآن بيت القصيد، فهي كانت نظريّة محتملة منذ عقد من الزمن، فقد كتب المراسل السابق لشبكة الـ أي بي سي باري دانسمور لمركزنا منذ 12 سنة بحث تحت عنوان " الحرب القادمة – مباشرة"، وقد قابل العديد من الخبراء بينهم جنرالات، فقال للجنرال كولن باول: ماذا لو أن المراسل وصل لموقع مجموعاتكم خلال المعركة وبثها مباشرة عبر التلفاز؟، "سنسجنكم" أجاب الجنرال وتابع "بأن الشعب الأميركي سيعريك من جلدك عندها". وعند صدور البحث من مركزنا ولّد نوعاً من النشاط الفكري بين المفكرين الاستراتيجيين، فماذا سيكون عندها رد الرؤساء ورؤساء الوزراء إذا جوبهوا بتقنيات تواصل وبث متطورة ومصغرّة تكون قادرة على وصف مجريات المعركة حال حدوثها وتصويرها كما تحدث؟ وماذا ستكون ردة الفعل الشعبية تجاه البث المباشر للحرب وما تأثيرها؟ وما مدى تأثيرها على المراسلين؟ وهل البث الحي للمعارك سيُحدث إحساساً جديداً بالمسؤولية والحذر؟ الأسئلة سهلة جداً لكن تكمن الصعوبة في الإجابة عليها، لأن كل واحد منّا يعرف إذا كانت فرضية دانسمور لمستقبل الصحافة دقيقة، فإن العالم كان سيدخل في حقبة جديدة تختلف فيها طبيعة وأصل الصحافة والحرب. وهذا بالفعل ما حصل بالتحديد. بالنسبة للصحفيين، التسلّح

بالتكنولوجيا الجديدة كان يشكل تحدّي على صعيد الدول (حرب تقليدية)، لكن اليوم التحدي أصبح أكبر تهيّباً ورعباً، خاصة أن التغطية هي في حرب غير متماثلة ومتكافئة بين الدول والأصوليين، والدين، والمجموعات الأيديولوجية، الدبلوماسيين، والمعضلات الصحفية أو العسكرية قليل من يفهمها أو يدركها.

"الإرسال عبر متعدد الوسائط" في سياق الحرب غير المتكافئة، يدخل عالم استحالة التصوّر في التقارب بين الأدوات العالية التقنية والمتطورة وبين الصحافة الشعبية، ومتغذية من ملايين المصادر الذين يقدمون آرائهم، ويؤثرون بالسياسة وبالرأي العام، ويستجوبون قراراتهم مع المسؤولين، ويشكّكون في مصداقية الصحافيين، ويقدمون تعليقاتهم كدليل صوَري. "فاريل" الكاتب في التايمز يعتقد أن في هذه الحرب " الجميع سينظرون إليك، والجميع سوف ينتقدونك".
إن الموالين لحزب الله ولإسرائيل، المنظمين جيداً والثائرين والواثقين بأنفسهم أرسلوا ملايين الرسائل لبعضهم في الحرب ببساطة عبر غمر الإعلام بالنقد لكن بنسخة لا تجد أصلها ي عالم الحقيقة. وكان السبب في هذا هو الضغط الإعلامي غير المتوقف لكي يتسنى للصحفيين أن ينظروا من أعين المسؤولين، لكي يعززوا أما إفراط الطرفين أو للبقاء في وسط الرأي الشعبي. فإذا كان "التفاوت" هو عنوان اليوم، فإن معظم المراسلين سوف يدعمون الفكرة أو يرفضونها لكنهم يبقوا في سياق التفاوت، وهذا أسهل بكثير وأكثر أماناً، ولكي تبقى مع الناس بدل أن تمشي في مجرى الريح.
حزب الله وكما نعلم يفهم ما معنى "معلومات المعركة"، وكان متطوراً جداً حول أماكن انعزاله ومغاوره وحصونه. فعلى سبيل المثال مراسل النيوز ويك نقل أنه كان هناك صورة لعامل إنقاذ يحمل ما يمكن فهمه على أنه طفل صغير بواسطة عدد من الخرق وهو عبارة عن كومة لحم، وهذا ما يعتبر شنيعاً جداً عند الإعلام الأميركي الذي لم يعرضه، ولكننا نجد حزب الله وبدون أي منع أو حذر كرّر الصورة عبر القناة الفضائية ولاحقاً عبر موقع الانترنت وعرضها على العالم.
ركّز حزب الله على الضحايا اللبنانيين، ونادراً ما ذكر خسائره كحزب أو كطرف في الحرب، واتهم إسرائيل بالعدائية، وكان هناك نوعين من نظم القيم في الاصطدام: الأول وهو عدم عرض الصور الشنيعة، والثاني هو عرضها، وإن التفريق المتعمد فيهما لم يكن إلا لهدف واحد لا غير وهو استخدام سلاح "المعلومات" لدحر إسرائيل.

هناك أيضاً حالة أخرى لمصوريَن، قد صوروا الحرب لكن عدّلوا في محتواها مثل المصور عدنان الحاج الذي طرد من رويترز في 7 أب 2006، وبعد الطرد أخذ الحاج كل أرشيفه عن الحرب المكوّن من 920 صورة، وكان الخلاف على صورتين، فالأولى تظهر ضاحية بيروت حال تعرضها للقصف بغارة جوية إسرائيلية، وهناك غيمة سوداء على شكل وردة فوق بناية مدمرة، وكانت صورة تأسر الناظرين من شدة رعبها، وبعدها انتشرت في مختلف صفحات المجلات والجرائد في العالم. لكن كارلوس جونسون الحائز على جوائز عديدة في التصوير حال الحروب، ويعمل حالياً كمدير موقع إلكتروني في أميركا، اكتشف أن الصورة معالَجة ومعدَّلة، وقارنها مع مثيلاتها من الصور لنفس البناية في نفس الوقت، وعندها تأكد أن الحاج قد لعب بألوان الصورة الأساسية، والصورة الثانية هي لطائرة إسرائيلية فوق الجنوب اللبناني يُطلق منها ثلاث شعل ضوئية، وبعد الفحص والتدقيق تبيّن أن الطائرة قد أطلقت صاروخ واحد.
لقد عدّل الحاج مرتين في الصور، لكنه ليس من المفترض تدبير أحداث أو خلقها طالما لم تحدث، لكن تستعمل هذه الأشياء لرفع مستوى الدراما في الوقائع الحقيقية، (صَخَب القصة) والذي يعتبر خطأ صحافي قديم، ويمكن أن يكون قد استخدمها الحاج بتعمد لكي يسوّء صورة إسرائيل في العالم، وبالمقارنة فإنه يرفع من صورة حزب الله. لكن الحاج نكر أنه غيّر الصورتين بتعمد، وقال أنه أراد فقط أن يمحي علامات الغبار في الضوء الخفيف، ولا يمكن لنا أن نعرف الحقيقة، لكن الحاج رفع من نسبة شكنا في مصداقية الصحافة.

"التقليد" هو الاسم الذي أطلقه جونسون ومن معه من الغرب على الصورة، واعتقدوا أن حزب الله بهذه الصورة، أثبت أنه يغامر بأي شيء حتى يربح حرب الصور– الإستراتيجية، باعتبارها عنصر حاسم بالنصر في المعركة نفسها.

قال رافي نسمان من الاسوشييتد برس أن محرّري الصور كانوا يفحصون ويدققون في المئات بل الآلاف من الصور بشكل يومي، لكي يختاروا الصور الأمثل التي تمثل فظاعة الحرب، فكانوا يسألون أنفسهم هذه الأسئلة: "هل هذه الصور حقيقية؟ هل هي معدّلة؟ هل هي مزيّفة؟ "كان هناك غضب عارم بسبب فظاعة الصور" أضاف نسمان.

وهناك أمثلة أخرى على صحافة الصور، فصحيفة نيويورك تايمز نشرت في 17 أب صورة لبيروت، ونقطّت/رمزّت المنطقة المتضررة ومنطقة الضربات الجوية (الضاحية الجنوبية)، وقد أتى بعدها تعليق رئيس مكتب القدس ستيفان ارلانجر بأنه مترعج جداً من الصورة ومن نشرها، وقال أنها فاقدة للموضوعية والسياق، وقال أننا صورنا بيروت كاملة بواسطة الأقمار الاصطناعية لكننا لم ننشر إلا صورة الضاحية، وقد كان باستطاعتنا نشر الصورة الكاملة لكننا لم نكن نريد، لأنها لا تخدم الموضوع، "قاصداً بقية مدن بيروت التي لم تتضرر أبداً".

وهناك قصة ثانية عبارة عن صورة نشرتها التايمز لرجل لبناني من مدينة صور، وهم يخرجونه من تحت أنقاض مبنى ضربته إسرائيل بغارة جوية، ورئيس بلدية صور يناشد الإسرائيليين بالسماح للسلطات بإخراج الضحايا من تحت الأنقاض، لأن هذه المنطقة تتعرض لقصف عنيف تكراراً، وبعدها وفي التاسع من أب أجرت التايمز تصحيحاً للذي نشر سابقاً، بعدما تأكد بعض المراقبون أنهم شاهدوا نفس الرجل الذي أخرج من تحت الأنقاض وهو نظيف ومعافى بنفس وقت الضربات الجوية السابقة بعدسات لكاميرات أخرى. هل هذه الصور مدبّرة؟ وهل كان هذا نفس الرجل حقاً؟

نادراً ما كانت يستخدم الإعلام الصور لكي يُظهر أن حزب الله يطلق صواريخه من الأماكن السكنية، وفي ذلك انتهاك واضح للقوانين العالمية، وهذا نادر لأن حزب الله لا يسمح للمصورين تصوير هكذا أنواع من العمليات العسكرية، ولكن في يوم الأحد في 30 آذار، هيرالد سن فعلها، وقد نشر صورة تحت عنوان "اللعنة على حزب الله" وذلك لإطلاقه عمليات عسكرية من ضمن مناطق مأهولة، يظهر في الصورة الكثافة السكنية الموجودة في تلك المنطقة، وقد ظهر حزب الله يحضّر لإطلاق دفعة من الصواريخ الثقيلة، ورجل آخر يطلق صاروخ مضاد للطائرات على بعد أمتار من مبنى سكني، حيث الغسيل كان على الشرفة لتجفيفه. الجريدة قالت أن الصور كانت "خاصة" وأخذت من قبل "صحفي وهربَّت من قبل صديق"، وكان لا بد من تهريب الصور لأن حزب الله لا يسمح بهذا الأمر على الإطلاق، وهم أثبتوا أن حزب الله بالفعل كان يقوم بعمليات عسكرية في ضواحي بيروت المأهولة بالسكان.

وفي نفس اليوم المذكور، وبينما كانت كاتيا نصر مراسلة تلفزيون الجزيرة في بيروت تقوم ببث مباشر لضرب صاروخ إسرائيلي بالقرب من جنازة. وقالت في بيانها، "مقاتلو حزب الله لم يُرَوا"، والناس كانوا يقومون بمراسم الجنازة للشهداء الذين سقطوا بالضربات الجوية سابقاً، وشدّدت على كلمة "الشهداء"، أي الذين سقطوا جرّاء القصف الإسرائيلي. معظم المراسلون العرب استعملوا هذه الكلمة، لكن لا أحد من المراسلين الغربيين استعمل هذا اللفظ، فقالت:" أكثر من 30 شخص قتلوا، ومقدار الثلث كان من الأطفال، وهناك عائلات بكاملها أبيدت في الغارات، من ضمنها أم وطفليها، وعائلة مؤلفة من ست أشخاص، والرجال تحمل التوابيت الملفوفة بالألوان الأحمر والأخضر والأبيض، ألوان العلم اللبناني. نصر كانت مراسلة قوية، دقيقة لكن ليست كاملة، منحازة لكنها صادقة.

إن العدل بين المصورين هو واحد من أصعب المهام والأعمال في الصحافة المعاصرة، بافتراض أن الرغبة الاحترافية هي مسؤولة أيضاً. إن الصور يمكن أن تكون خادعة أكثر من الكلمات، هكذا قال بيل كيلير المحرر الإجرائي في النيويورك تايمز وذلك "لأن محتواها هو عبارة عن شحنة عاطفية كبيرة، وعميقة". وقال دايفد صديق مجلة فانتي فير مكملاً هذا المحتوى: " وباختصار مفيد، إن الصورة تضع العديد من طبقات

المعنى في مكان محدد"، وفسّر هذا بقوله :" إنها المعادلة الفنية للقوّة الذريّة، لأنها تحتاج لطاقة عالية جداً في مكان صغير لكي تتفجر. أما جون بانر المنتج الإجرائي لبرنامج "أخبار العالم الليلة" لصالح أي بي سي، " كانت العواطف تتسارع في حرارتها بشكل مرتفع خلال الحرب في لبنان، لدرجة أن الشخص لا يستطيع أن يتخيل صورة صعبة أكثر لكي يغطيها بشكل مناسب"، فما كان علينا إلا أن نبث قصة واحدة من لبنان، وقصة من إسرائيل في كل البرنامج.

هكذا حلول يمكن أن تخلق توازناً في الزمان والمكان، وتكوّن انطباعاً من الإنصاف (قصة هنا وقصة هناك)، وهي أفضل من الانحياز أو الميل.

دعونا نقول بأن صحافياً منحازاً بشكل غير إرادي ترك بيروت ليغطي الهجمات الإسرائيلية على مدينة صور، وقد شاهد الدمار وقابل اللبنانيين الذين نجوا منها، وويلاتهم وخسائرهم، وتشتتهم الاجتماعي، فلو كان هذا الصحفي يعمل لتلفزيون، فكان سيقوم بالتقرير في مكانه، ويمكن أن يكون حياً، ويشاهَد في الكاميرا مع إمرآة حاملة طفلتها الصغيرة، أما إذا كان صحفي لجريدة، فلديه متسع من الوقت ليكتب قصته في مكان وزمان آخر، وربما في غرفته بفندقه في بيروت. لكن قصة "صور" أكانت في البث المباشر أو كانت في الصباح التالي، كانت ستكون بدون حشو كلامي، وبلا اقتراحات عن التهور الإسرائيلي أو الدعاية الحزباللهية، لا وجود لشيء مدبّر، مروّج، مضخّم.

ولأنها تُشاهد وتُسمع بسياق حقائق الحرب ووقائعها، يمكن أن تُرى أيضاً بأنها مثال على سوء التصرف وردة الفعل الخاطئة من قبل الإسرائيليين تجاه حزب الله، وبالتالي انحياز غير مقصود في التقرير، وعندها نقاد إسرائيل كان يقولون أن تقرير صور يبرهن وجهة نظرهم، ولكنهم لا يكتفوا بذلك فقط، ويبقى في رأسهم أسئلة حول النسب، ومثال على ذلك، صحافي يغطي قصة مماثلة لكن عن صواريخ حزب الله نحو القرى الإسرائيلية، ونقل عدد المدنيين الإسرائيليين المصابين والمقتولين، وحتى هذه التوازن الصحفي غير مقبول بالنسبة لهم، لأنهم يعتبرون ونسبة لمنطقهم أن إسرائيل دمرت وتدمر أكثر بكثير من تأثير حزب الله التدميري. وهكذا فإن العدل والتوازن والنسب يمكن أن يحقق على هذا السياق والإسلوب.

وداعموا موقف إسرائيل يصرفوا الانتباه على نقاس التناسب وعدم التناسب كتضليل أو غباء. الباحثون يرون في لو أن الإعلام كان يملك التقنيات اللازمة في الحرب العالمية الثانية لكي يري العالم صوراً ومشاهداً عن الويلات والمشاكل والغارات على الألمانيين واليابانيين المدنيين، ويُسمع قصصهم بنحو متكامل في برامج تلفزيونية، فكانت أخلاقيات الحرب مخالفة تماماً لما نسمع ونرى عنها الآن، وكانت مختلفة بالكامل. كيلير، مراسل التايمز قال أن القضية متعذرة الحل، لدرجة تجعله يرفض مغالطات نقاده وإجحافهم "حيث لا يريدون تغطية متوازنة، بل يريدون تصوير أخلاقيات الحرب كما يرونها هم".

الباحثون ابتدعوا كلمة تناسب هذا النوع من المشاكل وأسموه "التأثير العدائي للإعلام"، بمعنى أن المقاتلين يميلون ليعتقدوا أن الإعلام بشكل عام يضع عليهم إشارة سلبية واضحة. وفي اختبار واحد، عرض الباحثون 144 خبراً متلفزاً حول حرب الـ 82 بين لبنان وإسرائيل، فالمشاهدون العرب ذات وجهة النظر المقاوِمة، اعتقدوا أنهم رأوا 42 إشارة إسرائيلية إيجابية و26 إشارة سلبية نحوها، ونفس المشاهد عرضت على مشاهدون إسرائيليون ذات وجهة نظر إسرائيلية أظهرت نتائجهم أنهم رأوا 16 إشارة إيجابية لإسرائيل و57 إشارة سلبية، فالكل كانوا إيجابيين والجميع كان مصحاً فيما استنتج.

الخاتمة:

لقد أشير على تلفزيون الجزيرة وسائر التلفزيونات العربية بأن الحرب على لبنان كانت "الحرب السادسة". فالأولى في هذا السياق كانت عام 1948 حين وجدت إسرائيل بتصويت من الأمم المتحدة على الأراضي العربية التي يعتبرونها لهم. والحرب الثانية في العام 1956 حتى العام 2000 حيث كانت الحرب الخامسة فيها، حين قيام الانتفاضة الثانية. وإسرائيل كانت قد ربحت على كل الجيوش والدول العربية، وتضخمّت، وجمعت مناطقها الصغيرة لتصبح أقوى وتصبح دولة مسلحة نووياً. "لكن في عيون العرب، كل هذا موصول بسلسلة واحدة"

وقد عبّر عن هذا سمير شحاتة من المركز المعاصر للدراسات العربية في جامعة جورج تاون. "إن الهجمات الإسرائيلية على لبنان، واحتلال الأراضي الفلسطينية والأراضي السورية، كل ذلك أجزاء من قصة واحدة". والرواية الوحيدة للعرب هي الصراع المستمر مع إسرائيل، فمن عناد المعارك والحروب حتى معارك الاستعداد والتجنيد والتسلّح الجديد، ولهذا تنتهي الحرب حين تنهيها إسرائيل. إنها رواية محاكة بمهارة بنسيج السياسة وعلم النفس العربي، ولكنهم ينكرونها من حين لآخر في إعلامهم، ومع ذلك ينكرونها مراراً في غرف التحاور والنقاس العالمية، وهي تتماهى مع الخطوط العامة للصحافة العربية.

هل هناك شيء يضاهي موضوعية الصحافة في الشرق الأوسط، حيث الصحفي يعد تقريراً عن تقلبات السياسة الإسرائيلية مع شيء من التجرد والاستقلالية؟ بالنسبة لوليد العمري، إن الصحفي الفلسطيني بالهوية الإسرائيلية من قرية صندلا بين العفولة وجنين، الجواب هو غير ممكن. وذلك "لإن الموضوعية والتوازن غير موجودتين في الشرق الأوسط وخاصة في هذه المنطقة بالتحديد. العمري صحفي بارع بشهادة الجامعات العبرية وجامعات تل أبيب، الذي ترقى حتى أصبح رئيس مكتب الجزيرة في القدس. " قريتي الآن تحت القصف جراء الصواريخ القادمة من لبنان، وأقاربي تحت رحمة الهجمات الإسرائيلية على لبنان" وهذا يعني توازن جيد، تغطية مميزة، وهذا ليس بالسهل في تلك المنطقة. العمري أعطى بعداً شخصياً للميل العربي المزمن لمشاهدة إسرائيل كدولة غير مرغوب فيها، كونها دخيل أجنبي على أراضيهم.

حين حزب الله كان يقصف إسرائيل بالصواريخ حال الحرب، العديد من الفلسطينيين ابتهجوا من مشهد العرب يؤذون اليهود. فعبد الرؤوف أرنوط مراسل منطقة القدس لجريدة الأيام الفلسطينية قال أن أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله قد أصبح يعتبر "رمز" المقاومة العربي عند الشعب الفلسطيني. الممثل الكويتي داوود حسين، وعبر اتصال ببرنامج "صوت الناس" في تلفزيون الجزيرة أثنى على نصر الله وتمنى له النصر ضد الإسرائيليين، وقال" لو كان هناك نصر الله واحد في كل دولة عربية بمثل ذكائه وإخلاصه وشجاعته وقوته والتزامه، لم يكن العرب ليعانوا من الأراضي المحتلة وكانوا قد دحروا إسرائيل منذ 50 عأما". وهذا الاتصال يدل على ردة الفعل الطبيعية والشعبية للمزاج والرأي، لكن مبادئ البث كان يفترض بها أن تكون عادلة ومتوازنة. في الشرق الأوسط، حيث الصراع العربي الإسرائيلي هو واقع محتوم في حياتهم، فهذه الوقائع لا تُرى ولا تؤخذ بعين الاعتبار. خلال الحرب، يوني بن مناحيم المدير العام لكول يزرائيل، الإسرائيليون كانوا مقتنعين أن قناة الجزيرة "تصوّر وتنقل صورة مشوّهة لما كان يحصل"، وخاصة بتقاريرها من لبنان. وقال المدير" كانوا لا يذيعون بشكل موضوعي، وكانوا يصنعون الدعاية لحزب الله".

هناك مكوّن حاسم أخر لحساء الإعلام حال الحرب من الاتهام والاتهام المعاكس، وهو مجال الانترنت. كانت حرباً مباشرةً حيث كانت تلعب معلومات الميدان دوراً رئيسياً. وهنا الإسرائيليون عانوا من أجوائهم الديمقراطية كونهم شعب منفتح، وقد تنازلوا للضغط الشعبي جراء البث المتواصل 7/24، فكانوا لا يستطيعون إبقاء الأسرار والاحتفاظ بها، وحزب الله على الجهة الأخرى تحكم برسائله وبقبضة حديدية، فكان لديه ناطق واحد وبدون أي تسربات. حزب الله كان لا يرد ويتفاعل مع النقد من مختلف الجهات، ويمكن له أن يعتمد على المراسلين العرب المتعاطفين بشكل غير خجول لناحية ضربات إسرائيل العسكرية غير المناسبة ضد لبنان.

نيك غوينغ، مذيع محترم في الـ bbc، أنذر خلال مؤتمر غير بعيد بأن:"المعلومات الجديدة غير المتكافئة – هي المرحلة الجديدة من المسؤولية ومن الإدراك الشعبي في أوقات الأزمات" كما وتكشف " قابلية سقوط المؤسسات التقليدية عن الحكم والتأثير". وإسرائيل في هذا السياق كانت المؤسسة التقليدية، التي وبشكل مفاجئ أصبحت قابلة للسقوط جراء تدفق "المعلومات غير المتكافئة". غوينغ أعطى مثالاً عن كيف أنه:" وفي وقت الأزمة والتوتر، يمكن للإدراك والفهم الشعبي أن يُخلَق بواسطة المنظومة الإعلامية الجديدة". خلال الحرب وبالرغم من أن إسرائيل كانت لا تزال تملك الرقابة العسكرية، تقنياً، "كان بإمكانك أن تكون هناك على الحدود الشمالية لإسرائيل، تصور وتبث الحرب

مباشرةً، وتنقل صور الجنود المتحركين نحو جنوب لبنان، وتنقل صورة الصواريخ المضادة كيف تشل دبابات الميركافا". هكذا أنواع من التقارير والبث شاعت على الطرف الإسرائيلي وكأنها:" ضربة مفصلية على صورة وسمعة "مصنع الخوف" الذي خلقه جيش الدفاع الإسرائيلي". المتحدثون والمشاركون على الانترنت ساعدوا كثيراً في نشر انطباع عام على إمكانية تعرض إسرائيل للضربات. وأضاف غوينغ " كان المتحدثون والمشاركون عبر الانترنت وعبر الاتصالات على الراديو، يشيرون على قدرة إسرائيل الضعيفة، وعلى سهولة تعرضها للضرب والهجوم وأيضاً كذلك على جيش دفاعها".

أما إذا كان طَعم الصحافة أميركياً أو قطرياً، فإن الإثنان كانوا يمشون على طريقتهم، وكان الإثنين مقتنعين بأن مبادئهم كانت تمثل الصحافة الصادقة والنظيفة. إن الجهود القائمة للاتفاق على الأرجح فاشلة، على الأقل في المستقبل القريب. ورغم أن المدرستين الصحافيتين ومهما كان اختلافهما، هما متأثرين جداً في عملهم الميداني على مفهوم "الصحافة الجديدة"، حيث مزج الأخبار7/24 عبر الأقمار الصناعية، والراديو والبرامج التلفزيونية وصفحات الانترنت والمواقع المباشرة والاتصالات الهاتفية. والنتيجة هي نوع جديد من الصحافة الشعبية، والتي تؤثر كثيراً بالقصة التي تنقلها وتغطيها، بالواقع "الصحفي" أو بالمصطلح الجديد "المعلّق" أصبح جزأً من القصة.

خلال حرب لبنان، مثلاً، المعلقون والمتابعون قد أثّروا على تدفق وسير القصص أكثر من أي حرب مضت. رافي نيسمان، اقدم صحفي في القدس للأسوشيتد برس، اعتقد بأن تأثير المعلقون وخاصة في الولايات المتحدة كان غير متوقعاً، وحين المعلقون (في الولايات المتحدة) اكتشفوا بأن الصور قد عولجت فإن"مصداقيتنا هبطت، ومصداقية المعلقون ارتفعت كثيراً"، " وبعد هذا، كل شيء فعلناه كان اشتباهاً". "وهذا ما جعل الحرب أكثر صعوبة للتغطية الإعلامية، وأكثر صعوبة لتجد أشخاص نزهاء يحاولون، وأكثر صعوبة لتجد أشخاص لا يعالجون الصور، ولا يتكلمون على جهة دون أخرى، ولكن يحاولون بأن يقدموا الحقيقة، وما كان يجري هناك، ويعدّلون ويسألون السؤال المفترض ويطرحونه بدون تحيّز، ويسلمون بفرضيات الصحافة".

الحرب في لبنان أنتجت عدداً هائلاً من القصص الجيدة والسيئة، وكانت أكبر مقاساً من الحرب غير المتكافئة المشنّة من قبل دولة من جهة، وعلى قوة فدائية قومية دينية من جهة أخرى. هل تسعى إسرائيل لتغيير قواعد التغطية الإعلامية في الحرب المقبلة؟ وحتى لو بذل هذا المجهود، فهل ينجح؟ في مجتمع منفتح، يمكن للقواعد أن تُعلن، ولكن لا يمكن أن تطبّق بالقوة. خلال حرب صيف الـ 2006 في الشرق الأوسط، كانت إسرائيل تواجه حزب الله الذي يقوده حسن نصر الله صاحب الشخصية الكاريزمية، ولأن إسرائيل لم تنتصر في الحرب، فلقد اعتبرت خاسرة. في العراق، وفي المستقبل القريب ستواجه أميركا جيش المهدي، الذي يقوده صاحب الكاريزما الأخرى مقتضى الصدر. والتحدي هنا على الإعلام المسؤول في تغطية حرب غير متكافئة، وخاصة أننا في عصر الانترنت أصبحت التغطية جديدة مخيفة ومرعبة.